الحلقة التاسعة

(1) (منزل الشيخ الأسير.. فريدة ترتدي ثيابها لتـذهب الى مدرسة البنات)

حنيفة: يالبنتي اصبري بضعة أيام فلا تنتكسي!

فريدة: أشعر بنشاط، والحرارة فارقتني فهل أقبض راتبا وأنـا طريحة الفراش طوال الوقت؟ (تخرج.. تسير في الشارع الموصل الـى مدرسة البنات.. تقابل خالد) (لنفسها) ليس الأمر صدفة.. انه يتعمـد أن يراني في هذا الموعد بالذات حين أكون ذاهبة الى المدرسة..(ينظر اليها، يحدق في وجهها فتبتسم.. نظرة خاطفة تهز كيانها.. يخفق قلبها بعنـف) أتراه الحب الثقيل الذي يعصف بالجسد النحيل كما قالت العرافة؟.. انها لم تتنبأ الاّ بما يوحيه منظري.. خط الحياة يقول أن عمرك لن يطـول.. ما هذا الفأل السيئ؟ لا يركن الى تنبؤات العرافين والعرافـات.. كـذب المنجمون ولو صدقوا (تصل الى المدرسة.. هرج ومرج في الـساحة.. تحيط بها البنات فرحات بعودتها.. انهن في نفس عمرها.."الحمد لله على السلامة آنسة!" يرن جرس الدخول .. تشعر بالإرهاق.. تتحاشى الكلام.. تكتب على اللوح "إعربي الجملة التالية" تأخذ الأوراق لتصحيحها.. تشعر بالدوار، ويطنين في أذنيها.. ربما كان يذكرني! ألا يقولون بأن طنـين الأذن يعني أن هناك في هذه اللحظة من يذكرك، من يتحدث عنك؟

(2) (مشهد في دار الجوائب.. خالد يكتب شعرا رقيقـا يعبر به عن مكنون قلبه.. يعطيه لرئيس التحريـر للنشر.. يقرأه أحمد فارس)

أحمد فارس: ان موهبتك الشعرية تنضج فاذا استمر بك الحـال على هذا المنوال أصبحت شاعرا يشار اليه بالبنان.

(3) (مشهد المدرسة.. غرفة المعلمات.. فريدة تـصحح الأوراق.. تزوغ عيناها.. تضع رأسها بين يديها)

معلمة: يا فريدة، انك متعبة فدعيني أوصلك الى البيت بعربتي، ولا ترجعي الاّوقد شفيت تماما..

فريدة: والطالبات؟

المعلمة: لو كان هناك بديل لأتينا بها.. انني سأتكفل نظام الصف في غيابك وأعلم الطالبات حياكة الصوف وأقص عليهن القصص.. وان شاء الله لا يطول غيابك..

فريدة: (لنفسها) خط الحياة يقول أن عمرك لن يطول.. لقد زرعت تلك المرأة المخاوف في قلبي!..

المعلمة: انني جاهزة، فدعي الأوراق أو خذيها معك الى البيت، وسأمر عليك في الغد للإطمئنان على صحتك..(تخرجان)

(4) (منزل الشيخ.. حسن عند باب الحديقة.. تنزل فريدة من العربة ومعها المعلمة، وتحت إبطها كدسة الأوراق.. حسن يركض الى باب المنزل وينادي أمه..)

حنيفة: (بقلق) أما نصحتك أن تتريثي حتى يتم شفاؤك؟

المعلمة: لا تتركيها تذهب قبل أن يتم شفاؤها ياخالة..

حنيفة: كثر الله خيرك أنك أوصلتها بعربتك..

المعلمة: ان منزلي قريب من هنا.. فان رغبت مررت بها كل يوم وأوصلتها بعربتي..

فريدة: انني أحب السير على الأقدام.. وهذا الإعياء من أثر الحمى.. يبدو أنها لا تزال عالقة بي! (تضع أمها يدها على جبينها)

حنيفة: انك ساخنة يالبنتي!

(5) (مشهد في قصر علي باشا.. علي باشا والأسير.. الأسير يحدث علي باشا عما سمعه من أحمد فارس

بأن "العثمانيين الجـدد" هـم علـى عكـس دعـاة اللامركزية..

علي باشا: بشرك الله بالخير يا شيخنا الفاضل.. انني أتجرأ الآن وأتوسط لجواد عند السلطان..

الشيخ: ما هو سبب استياء العثمانيين الجدد ونقمة الـسلطان عليهم ؟

علي باشا: انهم ليسوا سيئين، فهم يرفعون شعارا وطنيا هو "دع العثمانيين أنفسهم يؤلفون الشركات التجارية والـصناعية فـي تركيا" لهم نواد منذ العقد الماضي، أما استياؤهم اليوم فهو بسبب القروض المجحفة التي يأخذها السلطان من البنوك الإنجليزيـة والفرنسية.. صحيح أنه ينفقها في مد السكك الحديدية ولكنه أخذ يرزح بالديون وفوائدها.. منذ أعوام حذرني قنصل ألمـاني أن هذا الضمان سيكون وسيلة نهب ربـوي لتركيـا وممتلكاتهـا العربية التي مدت فيها السكك.. وسيحدث فيها ما جرى لمصر من انهيار اقتصادي عند شق القناة.. أصبحت تركيا فعلا عميلة للمرابين، وهذه سبب المظاهرات التي يقـوم بهـا العثمـانيون الجدد..

(6) (منظور المظاهرات ترفع شعارات اليكي عثمنار)

(تدخل شهربان، تمد يدها لمصافحة الشيخ فيـسحب يـده لأن مذهبه شافعي) كيف حال فريدة؟ لماذا لـم تـأت معـك كمـا وعدتني؟

والله هي مريضة لا تبارح فراشها منذ أسبوع..

شهربان: (بقلق) ماذا بها؟

الشيخ: حمى وسعال جاف..

شهربان: فتاتك مرهفة الـصحة.. لا يجـب أن تعمـل فـي التدريس..

الشيخ: انها تصر عليه، وأنا لم أجبرها عليه.. ان ما أحـصل عليه من نظارة المعارف ودار المعلمين ومن الجوائب يكفينـي ويفيض علي..

علي باشا: انني سأسعى لك أن تكون نـاظر المعـارف وهـو منصب من المناصب الرفيعة التي قلما يحظى بـه أحـد مـن العثمانيين وراتبه جزيل..

الشيخ: انني أنوي العودة الى بلادي حيث البحر والدفء أرحم بي وبابنتي من جو الآستانة.. بل انني قدمت استقالتي لـوزير المعارف فأسف على خسارتي وماطلني في قبول استعفائي على أمل استبقائي..

علي باشا: لا تتسرع فقد يكون في بقائك خيـر كثيـر للأمـة الإسلامية ولأهداف اللامركزية التي تسعى اليها.. كن في قلـب الأحداث فتكون أقدر على التأثير فيها بـسعة علمـك وفـصيح عبارتك وحسن عقيدتك وصفاء ذهنك ونقاء وجدانك.. (يتحمس بطبيعته التي لا تقبل التردد والتسويف) شهربان، إطلبـي مـن العربجي أن يعد العربة (تخرج شهربان) ستذهب معـي الـى السلطان!

الشيخ: يا علي باشا، أنا لا حاجة بي لمقابلة الـسلطان لأنـه مهما أغراني بالبقاء فانني راغب بالعودة الى لبنـان.. فهنـاك أستطيع أن أحس بنبض قـومي فتتـدفق قريحتـي بالتـأليف والشعر.. أنا في الغربة لا أستطيع أن أتدفق الاّ بشعر الحنـين، وتصحيح ترجمات غيري الى العربية.. أنزلني عند باب بيتـي ان كنت تريد إسعادي! (يخرجان.. العربة توصل الأسير الـى بيته.. ثم توصل علي باشا الى قصر السلطان)

(7) (منزل الشيخ.. شهربان في زيارة لفريدة)

شهربان: كم قلقت عليك! جئتك بـبعض الأشـربة المـسكنة للسعال وصفها طبيبنا وهو صديق للأمير مراد درس الطب في ألمانيا.. كان متخرجا حين ذهب مراد في بعثته الى هناك (تسر اليها) انه ينقل بيني وبينه الرسائل! لو استمرت الحمـى كـان واجبا أن يراك ويفحصك..

فريدة: ان والدي لا يسمح أن أعرض نفسي على طبيب.. انه يقول أن السعال لا دواء له الا الراحة والغذاء الجيـد والـدفء ولكنني لا أشتهي.. (تدخل حنيفة تحمل أطباق صـغيرة فيهـا دجاج وأرز مزين بالصنوبر وكواج وكبد مشوي وسلطة.. تضع فريدة القليل من كل شيء في صحنها وتأكل على مهل..)

شهربان: (تفتح علبة خشبية مغلقة).. هذه هريسة اللوز ممـا يصنعه طباخنا وهو ماهر في صنع كافة الحلويات.. انها مفيدة في مقاومة الحمى والسعال..

فريدة: (تأخذ قطعة ثم تشرب الدواء وتأخذ قطعة أخرى) انها طيبة، ولكن أخبريني ما هي أحوال جواد بك؟

شهربان: قابل والدي مولانا.. انه يرفض أن يعد بشيء حتـى ينتهي التحقيق! قابله في اليوم الذي ذهب فيه والدي مع والـدك يريد من السلطان أن يسلمه نظارة المعارف، فأبى.. كان طوال الطريق يرجوه أن لايفعل.. يريد العودة الى لبنـان! يريـد أن يؤلف ويكتب الأشعار! فذهب والدي وحده..

فريدة: (تذكر والدها وحالها معه حين كان يدرسها) كان والدي ينفق وقتا طويلا على تعليمنا الى جانب عمله الذي يكسب فيه رزقه في التعليم والإفتاء، فلا يجد الوقت الكافي للتأليف، فان زاره أحد ممن لا تربطه به صلة صداقة أو علم ضاق به ذرعا، فقام الينا يسألنا ان كنا كتبنا وظائفنا فان لم نفعل انهال علينا ضربا فيتعالى زعيقنا وبكاؤنا، فيجد الضيف الثقيل مقامه حرجا وينسل خارج البيت.. أما أنا فانني أدركت على الفور اللعبة فكنت أزعق مع إخوتي قبل أن تمتد يده

لضربي! (تضحك شهربان وفريدة تنتهي ضحكتها بالسعال) وحين ينظر في غرفة الضيوف ويرى أن الرجل انصرف يتنفس الصعداء ويجلس الى طاولته بيننا ويقول "أوخ! الآن انتهينا من الثرثرة والكلام الفارغ وبقي لنا وقت للتأليف!"